-٦-

# قصة : رابطيا

أوقفت سيارتي أمام «الجاليرى» وهبطت منها . وقفت أمامه لبُرهة أتطلع إليه وأنا أمرر أصابعي على المسبحة التي تحاكي حباتها السوداء المزدانة بالكتابة الذهبية شكل الكعبة المشرفة والتي أهدتها لي يوما حين حدثتها أني أتوق لزيارة بيت الله ، فقضت الليل كله تصنعها وحين التقيت بها في صباح اليوم التالي ، وجدتها تمد يدها بها إليِّ في بسمة تقول ( دى تقدر تسميها بشرى خير ).

( يا الله ) لقد أنشأته كما تخيلته تماماً وكأنه قد خرج من عقلها وارتسم واقعا حين وصفته لي منذ سنوات.

دخلت إليه ووجدت ذات الأقسام التي وضعتها هي منذ سنوات معي على ورق دفتر الرسم الطويل الذي كانت تستخدمه أثناء دراستها بكلية الفنون.

شرعت أتطلع إلى (البورتريهات) وأتذكرها في كل لون من ألوانها . كانت أعمالها دومًا محاكية لحالتها النفسية.

وكذلك كانت تصرفاتها وإنجازاتها. عندما تكتئب ، لا تنجز أي شيء و إن فعلت ، فلا تشعر بلذة النجاح أبداً. عندما تتوتر ، تَصير عصبية ، توشك أن تُدمِر كل شيء أمامها ولا تخشى من خسران أي شيء في تلك اللحظة فكل العالم لديها زائل عندما تكون في تلك الحالة. كانت نفسيتها تتحكم في كل شيء ويبدو أنها لازالت تتحكم ، فكل ما هو مرسوم حولي قد تلحف باللون الرمادي والكُحلي والأسود إلا قليلا من البهجة هُنا أو بعضاً من اللون المائي الصافي هناك.

أقبلت إلي من جانب ما من هذا المكان. كانت هي أو هي.

لقد نحفت عن قبل ،

مكياجها كان هادئا كما كان ، وما زالت ترتدي الأحذية ذات الكعوب المنخفضة

لتتحرك بحرية كما كانت تحب دوماً.
يبدو أنها تفاجأت برؤيتي وإن حاولت إخفاء ذلك ولكنها كالعادة لا تُجيد التمثيل. منذ أن لمست يداي كفها المرتجف ، أيقنْت أن قدومي كان مفاجئا وموتراً لها. دوماً كانت يداها ترتجف عندما تتوتر ، عندما تخطىء وحين تضطر لمواجهة عيون الآخرين.
جلست معها على منضدة مجاورة وبدأنا حديثا تتخلله السنوات الماضية التي نستطيع التحدث عنها دون إرتجاف.
سألتها عن ما فعلته في السنوات الماضية فأجابتني :
(اشتغلت في محلات وجاليريهات كثيرة واشتركت برسوماتي في معارض صغيرة إلي حدٍ ما الحمد لله أهو قدرت افتح الجاليرى اللى كنت بحلم بيه وإنت إيه اخبارك؟ )
كانت عيناي مسلطة على كفيها تنقب عن وجود خاتماً ذهبياً ما من تلك الخواتم التي تصيب بالإنهيار العصبي والسكتة القلبية ولكني لم أجد فاستطعت أن أجيبها في اطمئنان :
« جميل أوى وأنا كمان الحمد لله فتحت المكتب الهندسي اللى كنت بحلم بيه بعد ما اشتغلت شوية برة . أنا لسة راجع على فكرة «
عندما انتهت كلمتي الأخيرة ، وجدت أن عملية التنقيب قد انتقلت إلى منطقة أصابعي أنا وقد أسفرت عن وجود معدن الفضة فى يدي اليسرى الذي لم أفلح في إخفائه عن العيون الكاشفة.
« مبروك» قالتها لي مبتسمة تلك الابتسامة التي دوما ما كانت تقبض قلبي قديما.
(- الله يبارك فيكى ، انتى شكلك لسه مرتبطيش )
( -لا ، لسه شوية على الموضوع ده )
برق السؤال في ذهني فجأة وألح علي قريني الشيطاني أن ألبى حاجتي من الفضول وأعرف جوابه.

حاولت نفسي اللوامة كثيراً إثنائي وتحذيري من العواقب ولكن نفسي الأمارة كممت فمها بقوة حتى أغشى عليها ، فارتكبت الخطيئة مسرعا قبل أن تفيق.

-انتى اتعالجتى ؟

نظرت إلي بعيون مرعبة متفاجئة متوترة .

تراجعت في كرسي وقد أفاقت نفسي اللوامة وأخذت تصرخ:

- ألم أحذرك ؟

إرتجفت يداها ، شربت من الماء الموضوع أمامها ، أخرجت نفساً صفَعَ رئتيها بقوة.

وقبل أن أتدارك نفسي وأبدأ مراسم التوبة

نطقت بصوت خفيض « بتعالج»

انقبض قلبي بقوة حين سمعت كلمتها وحين رأيت عينيها حزينة تحاول بعض الدموع أن تسبح فيها ولكنها سحبتها إلى اليابسة كعادتها .

حاولت الإعتذار ولكنها أجابتني بابتسامتها المترجمة إلى « لم يحدث شيء « استأذنتها في معرفة رقم هاتفها فقالت لي إنه كما هو ولكن يمكنني معرفته إذا كنت محوته.

أخذت أخط الرقم على هاتفي وأنا أشعر بخجل المَدين ، فقد ضاع رقمها مِنى وسط لجاج السنوات الماضية.

ودعتها وذهبت إلى بيتي.

طوال الطريق ، لم تفارقني صورتها بعد أن طعنتها كلماتي.

لماذا قلت ذلك ؟.. لماذا ؟...ما الذي أردته؟

هل أردت أن استعد أملاً قديماً ؟

أم أردت أن استوثق أنها ما زالت مريضة ، فلن تكون لغيري كما لم تكن لي ؟

هل أنا أناني لهذا الحد؟

أم أنا حقا لا أستطيع نسيانها ؟

وهل نسيتها يوما.

نظر لي ابني ياسين من بروازه وأشار إلى صورة أمه المنشغلة بشيء ما كما تبدو في البرواز الفوتوغرافي الذي يجاوره.
فأجبته : لا يا يس . أنا لا أكرهكم . هذا لا يتعلق بكم.
إنه حُلم قديم لي . سبق وجودك ووجود أمك في حياتي.
لقد صار لي حباً رابطياً كحُب الآباء والإخوة ، لا يمكنك أن تنتزعه من قلبك مهما يكن . لا يمكن أن أبدّي عليه حُب أمك ولا أن أسلطه عليه . فهما نوعان مختلفان من الحب ولا يجوز المقارنة بينهما.
قطب جبينه فشرعت استميله قائلا ( ألا تحب أباك ، ألا تريد له أن يفرح ، إن هذا الحب يسعده كثيراً )
منذ زمن قالت لي تلك الجملة التي حدثتك بها ولكن بالوضع العكسي
( أنا أحبك ، وأريد لك أن تسترح ، وهذا الانفصال سيريحك كثيرا )
لا ، لم يرحني أبداً ولو يومًا واحدًا.
قلتِ أنكِ مريضة نفسيًا. ومرضكِ سوف يتعسني وسوف يعوقني عن تحقيق أحلامي.
حاولت أن أعرف منكِ كنه هذا المرض فلم تَجبى ؟
بحثت عند الأطباء النفسيين ممن أعرفهم وطالعت الكتب والإنترنت وكل شيء لأتمكن من إستشفاف حقيقته من عصبيتك ، من توترك ، من حيرتك ، من ارتجافك ، فلم أعلم.
تركتك كما طلبتِ لتبدأي رحلة العلاج وشرعت أبدأ رحلتي.
حاولت نسيان الماضي وبدء صفحة جديدة مع المستقبل فتزوجت وأنجبت ولكني لم أشف من مرضك أبداً.
عُدت ،فشرعت مهرولًا أبحث عنكِ، فوجدتِك ما زلتِ في منتصف الرحلة.
ولكني لم أعد أطيق الصبر ولا أريد تعاسة على المدى البعيد ، كل ما أفكر فيه هو السعادة القريبة التي سأجدها معكِ.
دماغي المتهور كما وصفتِهِ يوماً أعطى الأمر الفمتو ثانوي إلى ذراعي ، فأدار

**مقود السيارة إليكِ ثم انطلق مسرعًا**
**مهما حدثتني عن مرضك ، فلن أستمع ، مهما حدثتني من أنكِ لن تقدمي لي شيئًا فلن أصدق ، مهما دق الشعور بالذنب الذي تتقنينه فلن ألتفت.**
**كل ما أريده هو أنتِ ولأجل ذلك سأحارب قناعاتك التي ستصدينني بها ..**

**رضوى صلاح مهران**

obeikan.com